

## الفصل الرابع:

# الهاربة

عن الضياع

والفرار

والمدينة المحطمة

لم تكن الشمس قد بانت بعد عندما شقّت طائرة ملكية السماء المظلمة.. لا يسمع لها صوت إلا أقل القليل ولا يرى منها إلا أنوارها التي تدل عليها.. وفي الطائرة، قال والي سربين لقائدها "كم بقي من الوقت قبل أن نصل إلى سربين؟"

قال قائد الطائرة "القليل يا سيدي.. نحن على مشارف الإقليم وتبقت لنا ساعة لنصل إلى عاصمته.."  
قال والي بتذمر وهو يتململ في جلسته "هلاً أسرع قليلاً؟ هناك أمر عاجل ويجب أن أحضره مع بداية الصباح.. أي تأخير غير مقبول بتاتاً"

لم يجب القائد وهو يغمغم متطلعاً إلى أجهزته "ما هذا؟"  
قطع تساؤله صوت انفجار في الهواء هزّ الطائرة والقائد يدير المقود مغيراً اتجاهه، بينما تساءل والي بذعر "ماذا حدث؟"

قال القائد دون تصديق "إنهم يحاولون إسقاطنا.."  
صاح والي "من؟ من؟.."

أما بي ناريا فقد فوجئت باهتزاز الطائرة بعنف مما جعلها تنكمش مغممة "أي قائد يطير بطائرته بهذا العنف؟ لو كنت الملكة لجردته من عمله على الفور.."

عاد الاهتزاز بشكل أعنف وقد خيل إليها أنها سمعت انفجاراً يليه صراخ من غرفة القيادة.. ازداد توترها وهي تحاول فتح الصندوق دون أمل عندما تسربت إلى أنفها رائحة الاحتراق الواضحة الناجمة عن الانفجار مما زاد من ذعرها.. هل احترق المحرك؟ هل تعرضوا لهجوم ما؟ مستحيل.. هل الطائرة تهوي؟.. مستحيل.. مستحيل..  
ظلت بي ناريا تهمس لنفسها بهذا وهي ترتجف وتشعر أن توازن الطائرة لم يعد ثابتاً وكأنها تهوي بسرعة نحو الأرض.. حاولت مرات ومرات أن تفتح الصندوق وهي تصرخ منادية وقد بات اهتمامها باختباؤها منعماً.. ثم جاء الارتطام القوي الذي تضعضعت له أجزاء المركبة وهي تصدر صريراً قوياً وهديرًا صمّ الأذان قبل أن تفقد بي ناريا وعيها لقوة الارتطام..

وعندما فتحت عينيها، بعد مدة لا تعلمها، صدمت بي ناريا للهدوء والسكون اللذين يحلان بها، بالإضافة إلى الظلام الدامس.. وبعد سقوط الطائرة العنيف لم يبق لديها تعقل وهي تصرخ وتضرب جوانب الصندوق بقوة بيديها.. لم يعد يهمها أن ينكشف أمرها، ولم تخشَ من محاولة إعادتها للقصر ولما نيم.. كل ما كانت ترغب به أن تخرج من هذا الصندوق الشبيه بالقبر.. صرخت وصرخت حتى بحّ صوتها دون أن تجد استجابة.. بينما انتشر الألم الحارق في ذراعيها لكثرة ما ضربت بهما الصندوق الثقيل..

يبدو أن الصناديق كانت محصنة بشكل جيد كي لا تتأثر من الاهتزازات أثناء الطيران أو الهبوط، وهو ما حافظ على حياتها.. كما أن تصميم الطائرات الحديث يجعل أي احتراق يصيبها ينحصر في جزء بسيط ولا يتعداه إلى باقي الطائرة، وإلا لقضت بي ناريا نحبها محترقة أو على الأقل مختنقة.. لكن هل هو حظ حسن؟ يصعب

قول هذا وهي في هذا الصندوق المغلق بإحكام..

ظلت بي ناريا تصرخ بهستيرية وهي للمرة الأولى في حياتها تجد نفسها حبيسة في مكان مغلق وضيق كهذا.. لم تعهد في نفسها كل هذه الهستيرية، لكن الصمت المخيم خارجاً أبعد عنها كل تعقل.. هل غادروا وتركوها؟ هل ماتوا؟ ما الذي حدث للجندي الذي وعد بإنقاذها؟ ظلت في قلقها وحيرتها والذعر يزداد في صدرها مع مرور الوقت..

في تلك الأثناء، وبينما كان المستشار ينهي بعض الأعمال المستعجلة التي لم يمكنه إرجاؤها حتى الصباح في غرفة قريبة من قاعة العرش، وجد جندياً يدلف إلى الغرفة بعد طلبه الإذن، وقال وهو ينحني "لدي تقرير عاجل أيها المستشار.. يجب أن يبلغ الملك في أسرع وقت"

تساءل المستشار وهو يذيل بعض الأوراق بتوقيعه "ما هو؟ أبلغني وأنا سأرى أهمية الأمر" قال الجندي "الطائرة التي كانت تقل الوالي الجديد.. لقد أسقطها الثوار في إقليم هيمانيا" تجمدت أصابع المستشار عن الحركة ووجهه يشحب بشدة، ثم رفع رأسه إلى الجندي متسائلاً بتوجس "أي والٍ تقصد؟"

قال الجندي "الوالي على سربين.."

اتسعت عينا المستشار بانفعال صارخ جعل الجندي يتساءل عن أهمية هوية الوالي المقصود من بين الولاة، لكن المستشار تساءل وهو يمسخ عرقاً تصبب على وجهه بمنديله "ولماذا عبرت الطائرة إقليم هيمانيا الثائر مع ما في هذا من خطورة؟"

قال الجندي "رئيس الطائرات الملكية قد حدد هذا الطريق لقائد الطائرة لأنه الأسرع.. ولم يكن يعلم أن الثوار يملكون وسيلة لإسقاط طائراتنا.. فهذه هي الحالة الأولى.."

صاح المستشار بحدة "فليخضع رئيس الطائرات الملكية للاستجواب حالاً.. هل تأكدتم من نجاة ركابها؟"

قال الجندي "فرقة من الجنود تحاول الوصول إلى المكان من العاصمة الهيمانية قبل أن يصلها الثوار.."

نهض المستشار وهو يشير للجندي للمغادرة والقلق يبدو على وجهه شديد الوضوح.. وغادر الغرفة بدوره دون أن يتجه إلى مانيم.. قبل أن يعلم مانيم بما حدث، يجب أن تعلم الملكة الأم بالأمر.. كانت جوين قد أبلغته بطريقتها الخاصة أن بي ناريا قد تم تهريبها في الطائرة التي تحمل والي سربين، ورغم أنه لم يعلم بالطريقة التي تم فيها هذا، لكنه يخشى مما حدث لها في سقوط الطائرة.. هل هي حية؟ ولو كانت كذلك هل انكشف أمرها؟ الخوف كل الخوف من وصول فرقة الجنود إلى الطائرة قبل أن تتمكن بي ناريا من الهرب، وعندها ستسقط رؤوس كثيرة، أولها رأس بي ناريا.. هذا إن كانت ماتزال حية..

لم تعلم بي ناريا بأي من هذا وهي ترتجف والبرد يشتد مع مرور الوقت.. لا تدري أين هي الآن، ولا تدري ما الذي حدث.. كل ما كانت موقنة منه أن سقوط الطائرة تسبب في مقتل كل من فيها، عداها هي.. هذا هو

التفسير الوحيد للصمت المخيم على المكان.. فلا تشك أن الجندي قد يتخلى عنها ويهرب بجلده..

كانت يداها الناعمتان قد تورمتا وظهرت عليهما كدمات أمتها.. فظلت تفركهما وهي ترجيء التفكير في حل

لوضعها المتأزم.. كان وقت طويل قد مر عليها وهي على حالها، أو هذا ما تخيل لها.. لذلك كانت دهشتها عظيمة عندما سمعت أصواتاً خافتة تدل على خطوات تسير في أرجاء المكان.. لم تدر من هو صاحب تلك الخطوات، أهو الجندي قد عاد لإنقاذها؟ أم هم جنود مانيم جاءوا لتفقد الطائرة؟ أم أشخاص آخرون؟..

ظلت صامته بتوجس وهي تدير الأمر في عقلها، هل تكشف عن موقعها أم تصبر لتعرف هويتهم في البدء؟ سمعت همسات تدور في المكان، ثم اقترب عدد من الأشخاص من موقعها وأحدهم يقول بلهفة "فلنفتش هذه الصناديق بسرعة ونحمل كل ما غلا ثمنه قبل أن يأتي الجنود.. لابد أنهم في طريقهم إلى هنا من العاصمة" سمعت صوت ضرب على صندوق مجاور وصوت نسائي يقول "وماذا لو فاجؤونا ونحن هنا؟ قد يحسبونا من الثوار، أو يلصقوا بنا تهمة إسقاط الطائرة.. فلنأخذ أول ما تطاله أيدينا ولنغادر" أجاب صوت ثالث "محال.. لن أغادر قبل أن أفتش الطائرة كلها.. لن نترك ثروة يمكن أن تبدل حالنا للأبد لأجل خوف لا مبرر له.."

قال الصوت الأول "لنسرع في عملنا إذاً.."

تعالى الطرقات على الصناديق حول بي ناريا وهي ترتجف بخوف لا تدري سببه.. من هم هؤلاء؟ وما الذي سيفعلونه عندما يروها؟..

لم تدم أفكارها طويلاً وهي تسمح صيحات فرح ترتفع في المكان.. لابد أنهم عثروا على الممتلكات الشخصية للوالي والتي بدت لأعينهم شيئاً لا يقدر بثمن.. ثم تعالى الطرق على الصندوق الذي تخبئ فيه بي ناريا بقوة جعلها تحيط رأسها بيديها وتعض على شفيتها بقوة لتمنع نفسها من الصراخ والهلع يتنامى في صدرها من الطرق المتعالي..

وفي ثوانٍ تحطم الغطاء والخشب يتناثر على رأسها، في نفس اللحظة التي سمعت فيها شهقة نسائية وصاحبه تصيح "ما هذا؟"

اقترب الرجلان اللذان معها مستطلعين، وما إن رأوا بي ناريا التي حاولت تنظيف رأسها من حطام الخشب حتى قال أحدهم "أهذه مزحة؟"

أمسكت المرأة بذراع بي ناريا وأوقفتها بقوة، فصاحت بي ناريا وهي تجذب ذراعها "كيف تجرئين؟" ظل الثلاثة ينظرون إليها باستنكار وهي تنظر إليهم بغضب.. كانت ثيابهم رثة جداً، رثة لدرجة بدت ثيابها فاخرة بشكل لا يصدق.. بشرتهم سمراء كالحة، وبدت لها يد المرأة التي لامست ذراعها خشنة بشكل لا يطاق.. ثم قال أحد الرجال وهو يعاينها ببصره "هل أنت جارية؟ أهكذا يعامل النبلاء الجواري؟" صاحت بغضب "لست ولم أكن يوماً جارية.."

فقال بهزء "إن لماذا يتم نقلك كبضاعة رخيصة؟"

لم تجبه وهي تخرج من الصندوق، فهي ترى أن الرد ليس في مصلحتها.. ولما سمعت صيحة المرأة الظافرة التفتت إليها لتراها قد استولت على صرة نقود استخرجتها من جيب بي ناريا وهي تقول "رائع.. حتى الجواري فاحشات الثراء.."

أدركت بي ناريا أن تلك الصرة قد دستها الملكة الأم في ثيابها لتعينها في بيران، فصاحت وهي تحاول استعادة الصرة "لست جارية.. أعيدي النقود لي حالاً.."

فقال المرأة بهزء وهي تتجه إلى صندوق آخر "أمرك يا مولاتي.. دعينا ننتهي من عملنا هنا ثم نرى ما يمكننا فعله بك.."

قالت بي ناريا بتوجس "وما الذي ستفعلونه بي؟"

قال أحد الرجال بابتسامة لم ترق لها "لكل شيء في هذه الدنيا ثمن.. ولكل بضاعة مشتري" اتسعت عيناها استنكاراً، وبدلاً من الاعتراض الذي يبدو بلا فائدة تلفتت حولها فلم تر إلا الأشخاص الثلاثة في هذه الغرفة، فأدارت ظهرها لهم وانطلقت هاربة عبر باب الغرفة وهي تسمعهم خلفها يتصايحون.. وكما توقعت سابقاً كان كل من في الطائرة قتلى ودماءهم تغرق المكان بشكل أفزعها، وقبل أن تفلح بالهرب وجدت من يمسك ذراعها ويلويها خلف ظهرها مؤلماً إياها.. فصرخت وهي تحاول الإفلات من قبضته دون جدوى.. كانت اليد لرجل من نفس عينة الثلاثة الذين تبعوها وأحدهم يقول "أحسنتم صنعاً بمنعها من الهرب" تساءل الرجل الذي يمسكها باستغراب "من تكون هذه؟"

أخبرته المرأة بما حدث وبي ناريا تحاول تحرير نفسها، ثم صاحت بغضب "سأقتلكم.. فور أن أستعيد مكانتي ومنصبي سأقتلكم جميعاً"

تساءل أحد الرجال وهو يحمل ما حصل عليه من الصناديق ويضعه في خرقة قريبة محكماً ربطها "ومن كنت أنت؟ هل كنت وصيفة الملك؟ أم عشيقته؟"

احتقن وجهها للإهانة وآخر يقول "أظننا لو عرضنا بيعها على أحد التجار فسنحصل على مبلغ لا نحلم به..". وقبل أن تعترض بي ناريا بكلمة على ما يدور فوجئوا بدخول صبي من باب الطائرة المحطم وهو يصيح "الجنود قادمون.."

اتسعت أعين الجميع بلا استثناء وهو يصيح بهلع متنامي "إنهم قريبون جداً.. فرقة كبيرة منهم تتقدم إلى هنا.. فلنهرب وإلا قتلونا.."

ظهر الفزع جلياً على الوجوه وهم يتدافعون حاملين ما طالته أيديهم والمرأة تولول وهي تهرب "لقد حذرتكم من هذا.. حذرتكم.."

وجدت بي ناريا الرجل الذي يمسك بها يفلتها وهو يتناول بضع أوانٍ مذهبة كانت ملقاة على مقربة ويهرب من الطائرة تاركاً إياها خلفه.. فلم تتردد بي ناريا ثانية أخرى وغادرت الطائرة لتجد أنها في صحراء لم تر مثلاً من قبل.. القمر ينير الكثبان من حولها، فيما يجد الهاربون الخطى بعيداً دون أن يلتفت أحد منهم خلفه.. ومن جهة أخرى بانث عدة أنوار تقترب دالة على مركبات الجنود التي تنقلص المسافة بينها وبين الطائرة بشكل متسارع..

لم ترغب بي ناريا بالتأبع هؤلاء الرجال الذين يهددون ببيعها، لذلك أولت ظهرها للطائرة وأسرعت خلف أقرب كتيب عالٍ لتختبئ خلفه عن أعين الجنود، ومن هناك ظلت مثابرة في سيرها رغم أنه سرعان ما تقطعت

أنفاسها لهذا المجهود الذي لم تقم بمثله من قبل.. كان السير على الرمال الناعمة التي تغوص الأقدام فيها أكثر إنهاكاً من السير على الطرقات المعبدة والتي تحفها الأشجار المعتنى بها.. لكنها لم تستسلم وهي ترى من بعيد أنواراً خافتة لما بدا لها كمدينة.. فقررت أن تدور دورة واسعة لتجنب الجنود وتعود للمدينة التي جاءوا منها.. لم يكن لديها فكرة عما ستفعله عند وصولها للمدينة، ولم يدر بخلدها أن آثارها واضحة لمن أراد أن يقتفي أثرها.. في الواقع لم يكن لديها فكرة عن أي شيء خارج نطاق القصر حيث لا مفاجآت ولا أخطار.. لكن لحسن حظها، فإن فرقة الجنود التي وصلت إلى الطائرة لم تكن تدري بوجودها فيها، ولم يكن اهتمامها يتجاوز تفقد الركاب، والبحث عن المتسببين في إسقاط الطائرة..

لذلك، وبعد تفقد سريع للطائرة واكتشاف الجثث فيها، فإن قائد الفرقة أشار لعدد من جنوده قائلاً “لاشك لدي أن الثوار كانوا هنا.. لابد أنهم جاءوا لتفقد الطائرة والتأكد أن مهمتهم تمت بنجاح.. اتبعوا هذه الآثار المتجهة شرقاً وعودوا بأصحابها قبل أن يفلحوا بالاختباء”

أشار أحد الجنود إلى آثار بي ناريا المتجهة للشمال وتساءل “وماذا عن صاحب هذه الآثار؟”

قال القائد باستخفاف “لابد أنه أحد السكان المحليين الفقراء قد جاء لبحث في الطائرة عما يسرقه.. ألم تر الصناديق المهشمة والأغراض المبعثرة؟ دعوه فنحن في مهمة أهم من القبض على سارق.. لو قبضنا على هؤلاء الثوار فجائزة كبيرة من الوالي ستكون من نصيبنا”

اتجه عدد من الجنود خلف آثار الرجال الهاربين بينما أسرع القائد يدلي بتقريره للقيادة في عاصمة هيمانيا.. واعداً بالعودة بجثة الوالي ومن معه في الطائرة، بالإضافة لما تبقى من أغراض تخص الوالي القتيل..

\*\*\*\*\*

لم تكن أنوار الفجر قد بانت وبى ناريا تستلقي على الرمال لاهثة بصوت عالٍ غير عابئة بالرمال التي تخلت شعرها وثيابها والآلام المبرحة في أنحاء جسدها تجعلها عاجزة حتى عن النهوض.. كانت تشعر برئيتها يعتصرهما الألم والهواء يدخل إليهما بعسر ومشقة.. وانتفاضة تنتشر في جسدها للمجهود الذي أجبرته عليه.. كان البرد شديداً في الصحراء، لكن جسدها كان حاراً والعرق يسيل على وجهها باستمرار..

كانت المدينة المظلمة قريبة جداً منها.. لكن لم يكن لدى بي ناريا طاقة للاستمرار ولو لخطوات أخرى بعد..

لم تدر كم من الوقت بقيت على حالها، حتى فوجئت بسماح شهقة خافتة وصوت يبتعد صائحا "أماaaaaaaaaا... إنها جثة.."

اعتدت بسرعة رغم آلامها وارتقت الكتيب القريب لتلقي نظرة حذرة لما خلفه.. فرأت فتاة صغيرة تبعد راكضـة تجاه خيالن أسودين لم يبدا جيدا في الظلام.. ولما أصاحت السمع سمعت صوت امرأة يقول "جثة؟ أنت واثقة من هذا يا ابنتي؟"

قالت الفتاة لاهثة "واثقة تماما.. إنها امرأة.. لابد أن الدماء تتصبب من جرح في صدرها أو رأسها بغزارة.." غمغمت بى ناريا "يا للخيال الشاسع.."

ومع اقتراب الظلال وجدت أنها لفتاتين متفاوتتين في العمر مع أهم، فلم يبد لها منهم خطر مما جعلها تقف بحذر مقتربة من موقعهم.. فشبهت الفتاة الأولى صائحة "الجنة.. لقد نهضت.."

قالت الأم مؤنبة "لا يجب أن تطلقى هذا اللقب على الناس جزافاً.. هذا من قلة الأدب.."

اقترب الثلاثة من بي ناريا التي صمتت وهي تتأمل ملامح المرأة التي بدا تعبها واضحاً على وجهها رغم الظلام، ويبدو أنها كانت تجمع الحطب كمصدر للرزق بمعاونة ابنتيها، والتي لا يتجاوز عمر أصغرهما العاشرة، والأخرى تكبرها بأربع أو خمس سنوات..

سمعت بي ناريا المرأة تخاطبها قائلة "مرحباً.. هل خرجت أنت أيضاً في هذا الوقت لجمع الحطب؟"

قالت بي ناريا بحذر "لا.. كنت متجهة للمدينة وتوقفت لأخذ قسط من الراحة.."

رفعت المرأة حاجبيها بدهشة قائلة "حقاً؟ كيف قدمت إلى هنا؟ لا تقولي لي إنك ممن نجوا من الطائرة التي سقطت الليلة.."

قالت بي ناريا بسرعة "لا.. لقد كنت مع مجموعة أخرى في طريقنا للمدينة عندما هوجمنا.. استطعت الفرار بصعوبة وأكملت المسافة سيراً على الأقدام"

قالت المرأة بشفقة "يا للهول.. لابد أنهم قطاع الطرق.. لقد تزايد عددهم مع الفقر الذي يهوي إليه شعبنا.. أأنت بخير؟"

تساءلت بي ناريا بعد تردد طال "أي مدينة هذه التي نحن بقربها؟"

تطلعت إليها المرأة بتعجب قبل أن تقول "هيمايا.. ألم تقولي إنكم كنتم في طريقكم إليها؟"

اتسعت عينا بي ناريا بذهول وهي تتأمل المدينة القريبة التي لم تظهر فيها بقعة ضوء واحدة، ثم همست بصوت مبجوح "هيمايا؟ العاصمة هيمايا؟"

قالت المرأة وتعجبها يزداد "أجل.. أهنك ما يسيء؟ تبدين شاحبة.."

غمغمت بي ناريا وهي تتهاوى جالسة "لا شيء.. كنت أريد التأكد من وصولي إليها فحسب.."

صمتت المرأة وهي تتأمل وجه بي ناريا بتعجب.. أما بي ناريا فقد شعرت أن تنففسها يضيق أكثر مما كان عليه.. هيمايا؟ من بين كل الأقاليم التي في المملكة، تجد نفسها في هيمايا؟ أي سخرية هذه؟ في البدء ظنت أنها قد وصلت سربين، لكونه أيضاً إقليماً صحراوياً وإن انتشرت الجبال في الجهة الجنوبية منه.. لكن يبدو أن قدرها قد ساقها إلى الإقليم الأبغض إلى قلبها نكاية فيها.. ولم تكن هذه أول ولا يبدو أنها ستكون آخر الصدمات التي حلت بها في اليومين الأخيرين..

قطع الصمت صوت الفتاة الأصغر عمراً وهي تقول "أمي.. تستطيع هذه المرأة أن تساعدك في حمل الحطب.. فأنا لا أستطيع حمله حتى المدينة"

نظرت بي ناريا لها بغیظ.. هذا ما كان ينقصها، أن تساعد الغوغاء في أعمالهم.. لكن الأم أراحتها وهي تجيب الفتاة "لا يجوز هذا يا ابنتي.. إنها غريبة ومتعبة وليس من اللائق إجبارها على العمل.."

وقالت موجهة الحديث لبي ناريا "هل تريدين أن نعيذك للعودة إلى المدينة؟ تبدين في غاية الإنهاك.."

قالت بي ناريا محاولة استرداد أنفاسها وثقتها "سيكون هذا جيداً.. فأنا لا أعرف أحداً فيها..".  
بقيت جالسة فوق الكتيب محاولة استجماع نفسها بانتظار أن تنتهي المرأة من عملها.. يبدو الالتجاء لمساعدتها  
حلاً مريحاً في هذه الأوقات.. وبعدها ستحاول تدبر وسيلة تعيدها إلى العاصمة.. فهي غير مقتنعة بحديث أمها  
عن المستقبل والهواء النظيف.. لا يبدو لها كل ما تراه حولها مستقبلاً نضراً موحياً بالسعادة..

\*\*\*\*\*

بعد أن أنهت المرأة عملها الذي طال، سارت مع ابنتيها عائدات إلى المدينة وكل منهن تحمل كومة حطب بدت  
أكبر من حجمهن.. بينما تبعتهن بي ناريا بخطوات متثاقلة دون أن تفكر حتى في عرض المساعدة عليهن..  
ورغم نظرات الحنق التي تلقيها عليها الفتاة الأصغر سناً إلا أن بي ناريا لم تعبأ بها وهي ترى أن لا حق لهن  
بطلب ذلك منها هي.. حتى لو لم يكن يعلمن بهويتها الحقيقية، لكنها تفترض دائماً أن على الآخرين احترامها  
مهما وأينما كانت..

بدأ النور يشق السماء خلف المدينة سامحاً لبي ناريا برؤية تفاصيلها ومنازلها التي لم ترحها كثيراً.. كانت  
مدينة كئيبة، منازلها طينية من طابق واحد تشرخت جدرانها واتسخت في عدة أماكن.. ومن ظهر من السكان  
في ذلك الوقت المبكر كان في حالة يرثى لها من الكابة والبؤس بشكل جعل بي ناريا تضيق صدرها وهي ترى  
هذا كله.. البيوت، والشوارع، والناس، وحتى الحيوانات، كانت تختلف اختلافاً كلياً عن يناساً..  
عبرَ الأربعة الشوارع الضيقة الحجرية، حتى وصلوا إلى منزل صغير شبه متداعٍ والمرأة تقول "تبدین متعبة  
كثيراً.. ابقی هنا حتى أذهب لبيع الحطب وأعود إليك.. لن أتأخر كثيراً.."

وحملت الحطب عن ابنتها الكبرى وهي تأمرها بأن تبقى مع ضيفتهم، قبل أن تبتعد وهي تنوء بحملها والفتاة  
الصغيرة تسير خلفها متذمرة.. وبعد شيء من التردد، تبعت بي ناريا الفتاة الكبرى إلى داخل المنزل الذي لم  
يكن حاله بأفضل من خارجه، فقادت الفتاة إلى غرفة منه بصمت، وتركتها فيها دون أي كلمة..  
سارت بي ناريا في الغرفة وهي تتأملها ماطة شففتها ويدها تعبت بشعرها القصير بحكم العادة.. أي شيء  
يدعوها للتخلي عن مباهج القصر لتعيش في مثل هذا المكان الضيق القذر؟ كيف ستشعر بالسعادة وهي لا  
تجد ماءً نظيفاً ولا طعاماً فاخراً ولا لباساً مبهرراً.. حقاً لا يبدو أن أمها الملكة بأتم عافية لترى أن هذه الحياة  
أفضل من حياة القصر..

وجدت في جانب الغرفة مرآة مشروخة معلقة على الحائط، فتطلعت بي ناريا لوجهها فيها للمرة الأولى بعد  
مغادرتها القصر.. كان التعب ظاهراً على وجهها وشعرها مبغثر امتلاً بالرمال.. لكن الأهم أنه قد اضحى  
عسلي اللون قصيراً لا يكاد يتجاوز كتفها بشكل بدا عليها غريباً.. ووجدت أن بشرتها قد أصبحت على شيء  
من السمرة يخالف بياضها السابق، وعيناها غدتا عسليتا اللون أدركت أنه بفعل القطرة التي تقوم بتغيير لون  
العدسة بشكل مؤقت، ولا يزول تأثيرها حتى يتم استخدام قطرة مغايرة فتستعيد العدسة لونها الأصلي..



بدأت مع هذا التغيير كفتاة أخرى، بالإضافة إلى الملابس الرثة التي ترتديها والغبار الذي يعلو بشرتها النظيفة عادة، جعلها لا تبدو كمن له صلة بيناسًا وبالقصر الملكي البتة..

غمغمت بي ناريا وهي تمسح الغبار عن وجهها "لا أعتقد أن مانيم سيبحث عني هنا في هذا الإقليم بالذات.. سيكون هذا آخر مكان يفكر في لجوئي إليه.. وحتى الذين سألتقي بهم في طريق عودتي للعاصمة، لا أظن هويتي قد تدور بخلداهم أبداً مهما شكوا في مظهري.."

كانت قد عازمت على البحث عن وسيلة للعودة إلى يناسًا مهما حدث، ومهما واجهت من عقبات..

دلفت المرأة إلى الغرفة في تلك اللحظة قائلة "هل ترغبين بأخذ حمام دافئ وتبديل ملابسك؟ تبدين في حالة يرثى لها.."

وافقت بي ناريا على الفور، لكنها لم تقبل أخذ أي ملابس منها، فثيابها على اتساخها أقل قذارة من ثياب هذه المرأة..

بعد فترة طويلة، كانت بي ناريا قد استعادت نضارة وجهها رغم أن اللون الذي اكتسبت به لم يتغير بالماء..

فجلست في جانب الغرفة بصمت تفكر في حالها حتى دخلت الفتاة الكبرى حاملة لها بعض الطعام لتضعه أمامها قائلة "هل ستبقين هنا طويلاً؟"

قالت بي ناريا وهي تتأمل الطعام الذي كان في أسوأ حال "قطعاً لا.. سأغادر مع أول طائرة متجهة للعاصمة يناسًا.."

قالت الفتاة وهي تجلس على كرسي آخر "لكن لا يوجد لدينا طائرات.."

نظرت إليها بي ناريا بدهشة مستفسرة، فقالت الفتاة "الوالي وجنوده هم الوحيدون الذين يستخدمون

الطائرات.. ولا أظنهم سيرحبون بك عليها.."

صمتت بي ناريا مفكرة وهي تذوق القليل من الطعام لتطفئ نار الجوع في معدتها، ثم سألت "وكيف ترتحلون من مكان إلى آخر؟"

قالت الفتاة "القوافل تغادر بين وقت وآخر على ظهور التوكور.. فهو وسيلة النقل الوحيدة لدينا"

تساءلت بي ناريا مقطبة "ولم لا تملكون أي وسيلة أخرى؟ لا مركبات ولا طائرات ولا حتى عربات؟ أي حياة هذه؟"

هزت الفتاة كتفيها قائلة "سمعت والدي يقول إن الوالي أراد تجريد الثوار من كل وسيلة تساعد على الثورة..

لا أدري ما علاقة المركبات والطائرات، لكن الكل مقتنع أن هذا بسبب الثوار.."

صمتت بي ناريا عن التعليق والفتاة تغادر بعدما سمعت نداء أمها.. قوافل؟ هذا سيستغرق منها دهوراً لتصل

إلى يناسًا.. ربما عدة أسابيع لو كانت محظوظة.. هناك إقليمان يفصلان هيمانيا عن الإقليم الرئيسي للمملكة

"يانا" وعاصمته "يناسًا".. والإقليمين الواقعين في الوسط "نيما" و "سيرالدا" ليسا بالإقليمين الصغيرين..

زفرت بضيق وهي تزدد الطعام غصباً عنها لحاجتها الشديدة له.. عليها التخطيط جيداً لخطوتها التالية..

فقضاء عدة أسابيع في الترحال سيثبت عرش مانيم أكثر وينساها الناس أو يركنوا لحياتهم الحالية تحت حكمه

مهما كانت قسوته.. يجب أن تنتزعه من عرشه مادام رخواً قبل أن يشدّ ويتجذر..

لم تنتبه لما حولها لاستغراقها بالتفكير العميق.. ولم يقطع تفكيرها إلا صيحة حادة لصوت غليظ "ومن تكون هذه؟"

انتفضت مكانها وهي ترفع رأسها لتتطلع إلى رجل ضخم لا يختلف في قدارته عن الآخرين، العرق يغمر وجهه وملابسه ونظراته الغاضبة تكاد تقتلعها من مكانها.. فتحت فمها لتجيب لولا أنه صاح دون اعتبار لها "سياما..". ظلت تنظر إليه باستغراب حتى حضرت المرأة منتفضة وهي تقول "ما الأمر؟ لم كل هذا الصراخ؟" أشار الرجل إلى بي ناريا صارخاً "أعود للمنزل لأجد امرأة غريبة تأكل طعامي وتسترخي في منزلي؟ ما معنى هذا؟"

قالت المرأة مهدئة "سأشرح لك الأمر.. لقد وجدت هذا الصباح بحال يرثى لها وقد تعرضت قافلتي للهجوم من قطاع الطرق.. وهي...."

قال بشدة "ومنذ متى كان منزلي مأوياً للتائهين؟ نحن بالكاد نجد لقمة نأكلها، فكيف نطعم غيرنا؟" تطلعت بي ناريا إلى الطعام القليل الذي أحضروه لها باستهزاء والمرأة تجذب زوجها بعيداً قائلة "إنها تبدو بحال جيدة.. ولابد عند عودتها إلى بلادها ستكافئنا على هذا.."

كانت بي ناريا تسمعها بوضوح، مما دلها على أن شيئاً كالكرامة لا معنى له عند هذه العائلة.. مطت شفيتها باستهزاء وهي تغغم لنفسها "من حسن حظي أنني لم أتربى في بيئة كهذه.. لو لم يتبناني الملك، فلا أظن أنني أحب تخيل ما قد تكون عليه حياتي"

زفرت بضيق وهي تتطلع من أصيص النافذة القريبة إلى الشارع.. وتمنت أن تغادر هذا المكان بغير رجعة بأسرع ما تستطيع..

سمعت المرأة من خلفها تقول بشيء من التملق "أرجو ألا يكون زوجي قد أفزعك يا أنستي..". قالت بي ناريا دون أن تبتسم "قطعاً لا.."

ابتسمت المرأة قائلة "زوجي سيعمل على إعادتك إلى أهلك سالمة بأسرع ما يستطيع.. فلا تخشي شيئاً" قالت بي ناريا "أريد الذهاب للعاصمة يناساً.. هناك أقارب لي، وهم ولا شك سيجزلون لكم العطايا إذا ساعدتموني على العودة"

بدت اللفة في عيني المرأة وهي تصيح "لا تخشي شيئاً.. سنساعدك.. بكل ما نستطيع سنساعدك..". وسارعت للخارج لنقل الخبر لزوجها وابتسامة تشيع على وجه بي ناريا.. هؤلاء الفقراء من السهل التلاعب بهم لمصلحتهم..

\*\*\*\*\*

استيقظت بي ناريا وهي تنتبه إلى أن الهدوء قد عمّ المدينة مقارنة بالصباح الصاخب، ونور الشمس المحتضرة

يغمر المكان من النافذة الوحيدة في الغرفة.. يبدو أنها غفت وهي جالسة في مكانها بعد أن هدها التعب الذي بذلته في السير في الصحراء..

نهضت من مكانها وخرجت من الغرفة تبحث عن المرأة في أرجاء المنزل لتتباحث معها عن الترتيبات التي سيقومون بها لنقلها إلى العاصمة.. كان المنزل خالياً، لكن عندما توجهت لبابه محاولة الخروج انتبهت إلى المرأة وابنتها وهما تتسارآن بهمس والفتاة الصغيرة تلعب قريباً منهما بكرة بالية..

لا تدري ما الذي دفعها لعدم إعلان وجودها وهي تحاول الإنصات لما يقال.. كانت المرأة تحمل ورقة في يدها تتأملها، والفتاة قربها تقول بهمس "أمتأكدة أنها هي؟ إنها مختلفة بعض الشيء.."

قالت المرأة بلهفة "عدا عن طول الشعر.. فهي ذاتها.. الصورة غير واضحة، لكنها تبدو بنفس الملامح.."  
فقال الفتاة "إنهم يقولون إنها فتاة هاربة من القصر في يناساً.. لكن لا يبدو على هذه الفتاة أن لها علاقة بالقصر مع شكلها الأشعث.."

قالت المرأة مقطبة "لا ندري ما الوسيلة التي استخدمتها للوصول هنا، لكن ربما كانت هيأتها هذه إمعاناً في تضليلنا.."

وأضافت "ألم تلاحظي عند قدومها أنها كانت وحيدة؟ لو كان الأمر ناجماً عن هجوم قطاع الطرق لرأينا عدداً ممن كان معها في القافلة.. لكن لم نر أحداً خلفها.."

عادت بي ناريا أدراجها بهدوء وقد فهمت الأمر.. يبدو أن مانيم قد أدرك وجودها في هيمانيا بشكل ما ووزع منشورات تطالب بالقبض عليها، لكن هذا حدث بسرعة قياسية تعجبت له.. أسرع إلى مطبخ المنزل وبحث بين أدراجة عن سكين كبيرة، فتمسكت بها جيداً وهي تختبئ خلف الباب مصيخة السمع..

بعد لحظات سمعت الفتاة تقول لأُمها وهما تقتربان "يجب أن نتأكد أنها لن تهرب قبل قدومهم.."

فتح الباب في هذه اللحظة فشهرت بي ناريا سلاحها وهي تقبض على أولى الداخلتين، وكانت الفتاة، وهي تتراجع قائلة بحزم "لا داعي لإثارة المشاكل أو أي محاولة متهورة.. لن أتردد في إيذاء الفتاة أبداً.."  
قالت المرأة بقلق وهي ترى الذعر في عيني ابنتها "إذن أنت حقاً الفتاة الهاربة من العاصمة.. ما الذي ستفعله بابتني؟"

قالت بي ناريا "هذا يعتمد على تعاونك معي.. أريدك أن تدليني على مكان القوافل.. أريد أن أغادر المدينة الليلة.. ولو تفوهت بكلمة عني فلن أرحم الفتاة.."

قالت المرأة وهي تفرك يديها "لا أظن أي قافلة ستغادر الليلة.. القوافل تغادر مع إشراقة الشمس ولا يحدث هذا كل يوم.."

بدت المرأة تماطل في الحديث مما دفع بي ناريا لتصيح بعصبية "لا يهمني.. أريد أي وسيلة للخروج من هنا.."  
سمعت الفتاة الصغيرة التي دلفت من الباب في تلك اللحظة تهتف "أبي.. لقد بليت كرتي.."

استدارت بي ناريا بسرعة خلفها لكن ضربة قوية على رأسها أفقدتها الوعي على الفور لتسقط أرضاً.. بينما تناول الرجل الضخم السكين من يدها قائلاً "متى سيصل الجنود؟"

قالت المرأة وهي تربت على كتف ابنتها المذعورة "لست أدري.. لقد أبلغتهم بأمرها بالفعل.. المفترض أن يصلوا بسرعة لو كان أمرها يهمهم.."

فقال الرجل وهو يستدير عائداً إلى غرفته "إذن قيديها حتى يصلوا.. لو كنت تملكين الذكاء الكافي لفعلت هذا وهي نائمة.."

أما بي ناريا، فلم تعلم كم من الوقت بقيت في غيبوبتها، لكن عندما استيقظت شعرت بصدا عنيف في رأسها بسبب الضربة التي بدا أن صاحبها لم يحاول أن يترفق بها أبداً.. وعندما فتحت عينيها وجدت أنها مقيدة إلى كرسي في إحدى الغرف.. كانت الحبال تقيد يديها وقدميها بأجزاء الكرسي الثقيل فلم تستطع تحريكه أو تحرير نفسها..

كان الظلام قد عمّ الدار إلا من إنارة ضعيفة لمصباح جانبي، بينما بدا الشارع مظلماً تماماً من النافذة.. تملكت في جلستها محاولة إيجاد مخرج لموقفها المرح، وهي مدركة أن المرأة ولا بد قد أبلغت الجنود عن وجودها في منزلها..

قطع تفكيرها سماعها لهدير المركبات التي قطعت سكون الليل وهي تقترب من المنزل لتقف قريبة منه، ولم تمض لحظات إلا والجنود يملؤون المكان وأحد الضباط يتقدم منها متأملاً وجهها على الضوء الشحيح وخلفه المرأة وزوجها.. فتساءلت المرأة بتوتر "أليست هي؟"

قال الضابط "بل إنها هي بالذات.. رغم بعض الاختلاف"

علقت بي ناريا قائلة "كل هذا الحفل للقبض على فتاة ضعيفة لا قدرة لديها للدفاع عن نفسها؟"

لم يعلق الضابط على قولها وهو يشير لأحد جنوده ليقوم بتسليم الجائزة المالية لأصحاب المنزل.. شعرت بي ناريا بالغضب وهي ترى المرأة وزوجها يستلمان النقود من الجندي بلهفة وكأنهما قد باعا كومة حطب لتوهما.. وغمغمت لنفسها "هذان ثاني من سأم بالقبض عليهما، بعد مانيم الوغد"

كان الجنود قد فكوا حبالها وكبلوا يديها بأقفال إلكترونية والضابط يقول "أريد حراسة تامة.. هذه السجينة يجب أن تصل إلى قصر الوالي بأمان.."

تساءلت المرأة بفضول "من تكون هذه؟"

ركلها أحد الجنود والضابط يتجاهلها متقدماً خارج المنزل إلى مركبته الواقفة بتأهب.. وأجبرت بي ناريا على الجلوس خلفه بين الجنود وهم متحفزون بأسلحتهم بشكل أدهشها.. حتى لو كان مانيم يرغب بالقبض عليها، فلا خطر فعلي لها ليستنفر الجنود أسلحتهم بهذا الشكل.. فما سرّ استنفارهم بهذا الشكل؟..

بدأ الموكب الصغير المكون من ثلاث مركبات تتوسطهم مركبة الضابط طريقها إلى قصر الوالي.. فلم تصبر بي ناريا كثيراً لتقول موجهة حديثها إلى الضابط "هل تعلم من أنا؟"

قال الضابط "بالطبع أعلم.."

فقالت "إذن تعلم بالتأكيد أنني سأعود للحكم.. هذا شيء لا جدال فيه.. فلمن تعتقد أن الانضمام سيكون في صالحك؟"

أجاب بلهجة قاطعة "للملك الشرعي قطعاً"

احتقن وجهها للرد المباشر، وقالت بحدة "هذا ليس في صالحك.. أطلقني وأخف أمري عن مانيم.. وعندما أعود إلى الحكم، فستكون مقرباً لي وسأنقلك مع كل جنودك هؤلاء للعاصمة حيث العمل أفضل والربح أكثر.. فهل تظن أنني سأصمت لو رفضت هذا وفضّلت معاونة مانيم الخائن؟ ألا تعلم العقاب الذي سيحلّ بكل من تعاون معه ضدي؟"

قال الضابط "هذا لا يهمني لأن ما تحلمين به مستحيل.."

فتحت فمها لتعترض والغيظ يملؤها عندما فوجيء الجميع بانفجار يستهدف المركبة الأمامية جعلها تنقلب والنار تأكلها سادة الطريق، بينما حاول قائد مركبتهم تفاديها مع صعوبة ذلك بسبب الطريق الضيق الذي يعبرونه.. وأمام عيني بي ناريا الذاهلتين، اصطدمت مركبتهم بالمركبة الأولى بعنف لتطير في الهواء وهي تنقلب مرتين قبل أن تسقط أرضاً على جنبها وتزحف لمسافة قصيرة ثم تعتلد وتسكن تماماً.. في نفس اللحظة التي تعالی فيها انفجار ثانٍ أصاب المركبة الأخيرة ليضمها لرفيقتها الأولى..

حاولت بي ناريا النهوض رغم آلامها وهي تسمع الضابط يصرخ في رجاله ملقياً تعليماته، وسمعت الرصاص يتطاير في المكان مما أجبرها على الجثو مكانها مرتجفة والخوف ينسيها آلامها، بينما تساقط الجنود حولها وهم يبادلون أصحاب الهجوم الطلقات دون فائدة.. فالنار القريبة منهم قد عطّلت أجهزة الرؤية الليلية وأصبحوا صيداً مكشوفاً للمهاجمين المختبئين في الظلام وبين المنازل القريبة، ولم تساعدهم المركبة المكشوفة في حمايتهم..

بعد مدة وجيزة كان الهدوء التام يعلو المكان.. فتحاملت بي ناريا على نفسها لتجلس مريحة جندياً قتيلاً عنها وهي تسعل بسبب الحريق.. نظرت حولها بعينين دامعتين من الدخان المنتشر في المكان باحثة عن هؤلاء المهاجمين.. فرأت الجنود حولها قتلى ولم تجد أحداً قريباً أو تسمع شيئاً، إلا تصايح بضع رجال من بعيد بلكنة هيمانية لم تفهم كثيراً منها، بالإضافة لطلقات رصاص يعلو صوتها بين حين وآخر..

حاولت النهوض واقفة لتهرب قبل أن يحضر المزيد من الجنود.. كانت تلك فرصتها، ويجب أن تستغلها قبل أن يمنعها شيء.. لكنها تهاوت أرضاً فور وقوفها وهي تشعر بألم حارق في ساقها اليمنى.. ولما نظرت إليها هلعت لرؤية الكسر الذي أصابها.. تلفتت حولها بحثاً عن سبيل للهرب، عندما رأت شبح رجل يقترب من بين الدخان بهدوء وثقة إلى مكانها.. شعرت بالهلع يتنامى في صدرها، وهي لا تعلم من يكون وما الذي قد يفعله بها، لكنها غلفت خوفها بغطاء من البرود وهي تنتظر إليه بحدة وكأنها تتحداه أن يؤذيها..

لم تستطع رؤية ملامحه وهي تسمعه يصيح بصوت عالٍ "إنها هنا.."

كانت لكنته هيمانية واضحة، وصوته جهوري عميق بدا هادئاً غير مرتبك لما يحدث في هذا المكان.. وقد تجاوز الجثث القريبة وحطام المركبة ليركع قريباً قائلاً "مرحباً.."

استطاعت رؤيته بشيء من الوضوح عند اقترابه منها وهي تتراجع بتحفظ.. كان يكبرها بست أو سبع سنين على الأقل.. أسمر البشرة ككل الهيمانيين، بشعر كثيف فاحم اللون.. عيناه سوداوان اكتستا بثقة بدت لها أقرب

للغرور وهما تنظران إليها بثبات، بينما على شفتيه ابتسامة ساخرة وكأنه يستهين بكل ما جرى حولها.. وقبل أن تتفوه بكلمة وهي تنظر إليه بتوجس، قال لها "هيا بنا.. يجب أن نبتعد عن هذا المكان..". سألته بتحفز "من أنت؟"

أجاب وهو يتفحص ساقها المكسورة "بم يمكن أن يفيدك ذلك؟"

وتركها فجأة إلى موضع قريب ثم عاد حاملاً قطعتين خشبيتين مستقيمتين، وأسرع يعالج كسر ساقها بشكل مؤقت بأن وضع القطعتين على جانبي ساقها وربطهما بقطعة قماشية طويلة انتزعها من ثياب أحد الجنود القتلى.. بينما بي ناريا تعضّ على شفتيها متحملة الألم أقصى ما تستطيع وهي تجد التعبير عن آلامها مذلاً.. وبعد أن انتهى بحث في جيوب جثة الضابط حتى وجد مفتاح القفل الإلكتروني ليحرر يديها منه.. عادت بي ناريا تسأله بلهجة أمرة "أخبرني من أنت.. وما الذي تريدونه مني؟" فقال وبسمته الساخرة تتسع "لو كنت تظنين أن الدنيا ستصبح أسعد حالاً عندما تعرفين هويتي، فسيخيب ظنك كثيراً.."

لكن قبل أن تعترض بحق فوجئت به يحملها بذراعيه القويتين بسرعة شهقت لها، ثم صاحت أمرة "أنزلني.. لا يحق لك أن تتصرف كما تشاء"

قال لها وهو يركض مبتعداً عن المكان "ألا تريدان الهرب من الجنود؟ أم أنك تظنين ساقك المكسورة ستطير بك قبل مجيء الإمدادات؟"

قالت وقد اغتاظت من سخريته "قلت لك أنزلني.. ستندم إن لم تفعل"

قال مقطباً "هل كنت ابنة عائلة نبيلة في يوم من الأيام؟"

انتفضت وهي تقول بقلق "لا.. كلا لم أكن.."

فقال بهزة "إذن كفي عن التصرف كواحدة.."

اشتعلت غيظاً بشكل لم تعهده وهي تجد نفسها غير قادرة على التحكم بأعصابها، لكنه قال بصوت خفيض مقطباً "صه.. إنهم قادمون.."

واختبأ في زقاق جانبي مظلم وهي تسمع وقع أقدام الجنود المميزة وهم يتراكمون نحو المركبات المحطمة.. ثم وجدته يركض في ذلك الزقاق بخطوات واثقة وهو يتجنب لمس قدمها المكسورة أو تحريكها بعنف لئلا يثير ألمها، ورغم ذلك فقد بدأ العرق ينضح من جبينها وهي تضغط على أسنانها محاولة كتم آلامها المتزايدة.. حتى وصلوا إلى طريق مسدود، فأطلق الرجل صفيراً محدوداً لتجد رجلاً آخر يظهر فوق الجدار الذي يسد الممر والذي كان بارتفاع قامته الشخص العادي.. رفع الرجل بي ناريا ليناولها للآخر قائلاً "انتبه.. ساقها مكسورة.."

وجدت بي ناريا نفسها تنتقل من يد ليد بخفة وسهولة ليحملها الآخر بخطوات واثقة سريعة فوق الجدار الضيق وهي تقول مخطوفة الأنفاس بقلق "سنسقط.. كن حذراً.."

لم يعلق الرجل والآخر يتبعهما بخفة حتى هبطا في حديقة أحد المنازل حيث التقى بهما رجلان آخران وأحدهما يقول "لقد جاءت فرقة من الجنود لا تتجاوز العشرين رجلاً.. سنخلص منهم مع بقية الرجال.. عودا أنتما

بالفتاة إلى الوكر قبل أن يعثر عليها أحد.."

قال الرجل الذي يحملها "سأبقى معكم.. فلا أود العودة الآن وتقويت تنمة الحفل.. خذها أنت وأسرع بالعودة دون إبطاء"

وأعادها إلى الرجل الذي أنقذها أول مرة مما جعلها تصيح ووجهها يحترق غضباً "أنزلوني الآن.."

قال لها الذي يحملها "أتودين السير؟"

بدت سخريته واضحة في صوته وهو يركض مغادراً المنزل متخذاً طريقاً يحفظه عن ظهر قلب.. فقالت بثورة "أن يجдени الجنود الآن خير لي من أن أتحمل هذه المهانة.."

قال الرجل بهدوء "لا أحد يهينك.. نحن نسعى لإنقاذ حياتك من المصير الذي قد تلاقيه لدى الجنود.. اصبري قليلاً وستخلصين من كل ما يزعجك"

صمتت على مضض وهو مستمر في ركضه لزمان طال، ثم سمعته يغمغم "اقتربنا.."

كانا لا يزالان وسط طرقات المدينة لم يغادراها، عندما فوجئت به يتوقف فجأة مختبئاً خلف جدار وهو يغمغم بحلق "تبا.. إنهم يملؤون المكان.. لا يمكننا الدخول عبر هذا المدخل"

واستدار متخذاً طريقاً آخرأ عابراً عدة منازل، قبل أن يقف قرب باب أحدها ويطرقه طريقة مميزة متلفتاً حوله بتوتر.. بعد لحظة فتح الباب قليلاً ليظهر من خلفه وجه رجل حذر، ولما رآهما فتح الباب سامحاً لهما بالدخول وهو يهمس "ما الذي جاء بك إلى هنا؟ هذا ليس الوقت الملائم لهذا"

قال الرجل الذي يحملها وهو يدلف معه إلى المنزل "الجنود يسدون المدخل إلى الوكر.. لا أستطيع الانتظار إذ يبدو أنهم يمشطون المنطقة بحثاً عنا"

قال الرجل الثاني بتوتر "أجل.. إن الدوريات مكثفة والجنود انتشروا في المكان.. أخشى أن يترقوا الباب بغية تفتيش المنزل وأنتم هنا.."

ثم نظر إلى بي ناريا مغمماً "أهذه هي؟"

أجاب الرجل الأول "أجل.. نجحنا في القضاء على الجنود جميعاً وتهريبها قبل أن يحضر الآخرون.. لكنني

الآن عاجز عن إيصالها إلى الوكر، وعاجز عن الذهاب إلى المداخل الأخرى فالشوارع تبدو مراقبة بكثافة"

قادهم الرجل الثاني إلى إحدى الغرف حيث وجدت بي ناريا نفسها تجلس على سرير متواضع والرجل الأول يقول "أرجو أن تتحملي الألم قليلاً.. سنرسل في طلب طبيب ليعالج كسر ساقك"

قالت بقلق "طبيب؟ لا.."

قال بسرعة "إنه طبيبنا.. لن يفشي سرك أبداً.. اطمئني"

لم تلمح في صوته السخرية المعهودة، فنظرت إلى وجهه لتراه بوضوح لأول مرة.. عندها أجفلت لمراى جرح غائر طولي يحتل خده الأيسر حتى ذقنه.. لاحظ الرجل ردة فعلها لمراه، فابتسم بسخرية وهو يغادر غير عابئ بها..

نظرت بي ناريا إلى يديها محاولة تناسي منظر وجه الرجل الذي اقشعر بدننها له.. كانت طوال عمرها تعيش في قصر، لا ترى إلا الوجوه الوسيمة الناعمة المرفهة.. لا ترى أي شيء يمكن أن يشوه هذه الصورة.. لذلك ساءها

أن ترى منظرًا يخالف ذلك..

أزاحت تلك الأفكار من عقلها وهي تفكر في ما حدث حولها.. من هم هؤلاء؟ يبدون مشتركين في المؤامرة التي حدثت للجنود، وكأنهم عصابة واحدة.. لماذا ساعدوها؟ هل يعرفون من هي؟ قطعاً لا.. إذن لماذا يعرضون أنفسهم للخطر بهذه الصورة؟.. لأجل أي هدف يسعون؟.. بل والأهم.. ما مصيرها هي معهم؟..

\*\*\*\*\*